

داینر ماریا ریلیکھ

مَراثی دوینو

ترجمة
فؤاد رفقه



0014872

مَراۓ دوینو

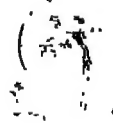
داینر ماریا ریلکھ

1919-1920

مرا فی دوینو

ترجمة

قواد رفقه



General Library
of the Islamic Republic of Iran

Library of the Islamic Republic of Iran

کار کاغذ و التسلیل

1919-1920

جميع الحقوق محفوظة
١٩٩٧



قصر دوينو القديم ، حيث بدأت تجربة المراثي

سنة ١٩١١-١٩١٢ .

المرثية الأولى

مَنْ ، إذا صرختُ ، يُسمَعُنِي من مراتب الملائكة ؟
 حتى لو ضَمَّنِي واحدُهم فجأةً إلى قلبه : أضمحلُّ
 من وجوده الأقوى ، لأنَّ الجمالَ لا شيء
 سوى بدايةِ الرعب الذي بالكاد نَحْتَمِلُهُ ،
 ونحن نُعْجَبُ به ، لأنَّه في راحةٍ يَأْنَفُ
 أن يُحْطَمَنَا . كلُّ ملائِكٍ مُرْعَبٌ .
 وهكذا أتماسك ، وأبتلعُ النداءَ المُعْري
 للسَّهَدَاتِ القائمةِ . آه ، إلى من نلجأ ؟
 لا الملائكة ، ولا البشر ،
 والحيوانات المتيقظة تُحسَّ تماماً
 أننا لَسْنَا في أمانٍ كبير
 في العالم المألوف . ربَّما بقيت لنا
 شجرةٌ على المحدَر ، شجرةٌ نراها كلَّ يوم ،

ولنا يبقى شارعُ الأمس ،
والأمانةُ الباهتةُ لعادةٍ طاب لها المقامُ عندنا فظَلَّت ولم ترحل .
آه ، والليل ، الليل عندما الرِّيحُ المليئةُ بالفضاء
تأكل وجوهنا - ، لمن لا يبقى
هذا المتوقُّ إليه ، الخادعُ برفقي ،
والذي ينتظر القلبَ الموحشَ - المتعب .
هل هو على العشاق أخفّ ؟
آه ، بعضهم مع بعضٍ يُخفون مصيرهم .
ألا تعرف هذا حتى الآن ؟ أطلقِ الفراغَ من ذراعَيْكَ إلى
الفضاءات التي نتنفسها ، فربّما تشعر العصفير
بالهواء المتسع في طيراني أكثر حميمية .

يلى ، فصولُ الربيع في حاجةٍ إليك ، ونجومُ ترقبتك عساك
تشعر بها .

وصوبك انطلقت موجةٌ من الماضي ،
أو عندما عبرتَ بنافذةً مفتوحة
أسلم نفسه كأنّ يُسمعه . هذا كله كان رسالة ،

فهل استجبت ؟ ألم تكرر دائماً
 مُستَتّاً بالانتظار ، كما لو كلُّ شيء
 يُعلن حبيبة لك ؟ (لكن أين تُحبُّها
 والأفكارُ العريّة الكبيرة عندك
 تأتي وتروح ، وغالباً تبيت في الليل معك ؟)
 عندما يُصيبك الحنين ، غنّ العاشقين ،
 فأحاسيسُهم الشهيرة لا تزال بعيدة كفاية عن الخلود ،
 أولئك الذين تكاد تحسدُهم ، أولئك المهجورون
 الذين وجدتهم أحبَّ إليك ممّن كان حبُّهم مكثفياً . أبدأً
 من جديدٍ عاود المديح الذي لا وصول إليه ،
 تذكّر : البطلُ يستمرّ ، حتى انهياره
 لم يكن سوى حجةٍ لقائه : لولادته الأخيرة .
 غير أنّ العاشقين تستعيدهم الطبيعة المنهكة
 كما لو أنّ القوى تُعوّزها لِخلقهم ثانية .
 هل فكرتَ كفايةً بكاسبارا ستامبا ،
 لعلّ فتاةً أفلتَ منها الحبيب
 تُحسنّ بالتجربة القاسية

لهذه العاشقة وتقول : لو كنتُ مثلها ؟

أما حان لأقدم أوجاعا
أن تثمر لنا أكثر ؟ أما حان الوقت ،
بحُبِّ ، أن ننحرر من الحبب
ومرتحفين نصمد :
كما السَّهمُ يصمد في النورِ مُستَحَمَّاً ذاته في الانطلاق
حتى يتحطَّى ذاته ؟ لأنَّ البقاء في لا - مكان .
أصواتٌ ، أصوات . أصعب ، أبثها القلب
إصعاء لا يقوى عليه سوى القديسين :
عندما رَفَعَهُمُ النِّداءُ العظيم عن الأرض ،
غير أنَّهم تابعوا الرُّكوع - شبيء مسنحيل -
ولم يَنْتَبِهوا :

هكذا كان إصغائهم . وهذا أبداً لا يعني
أنَّكَ تختمل صوتَ الله ، فهذا غيرُ ممكن ،
لكنْ أصغِ إلى هبوبِ الرِّيح ،
إلى الأخبارِ المسنَّمة التي تصعد من السَّكينة ،

همسٌ بحيوك الآن من الموني الصّغار .
فأنما دخلت ، ألم حدثك مصيرهم بهدوء
في كنائس روما وبابولي ؟
أو كباة مفوسه ، في جلال ارتفعت كرساله إليك ،
كما اللوحه في ساننا ماريا فورمورا حديثاً ؟
ما يريدون مني ؟ بهدوء على أن أمحو
مظهر الظلم الذي يعو قلباً الحركة النفه لأرواحهم
أحانا .

حفاً ، عربّ ألا سكن الأرض نعد ،
ألا يمارس عادات بالكاد نعلماها ،
ألا نعطى الورود وأسبأ أخرى واعدة
معنى مستقبل بَسْرِي ،
وَألا بطل ، كما كنا ، في بدس حائقتس بلا بهايه ،
وَألا رمى بأسمائنا حاساً كلعبه مُحَطَّمه .
غربّ ألا بسمّر برغائنا . عربّ أن يرى العلائق كلّها في
العصاء مخلوله نبعر .

وحالة الموت مُتعبة
ومليئة بالتعويض قبل أن يتحسّس المرء تدريجاً
قليلاً من الأبدية . غير أن الأحياء جميعهم
يُخطئون عندما بشدة يُفرّقون .
فاللائكة (برى العض) غالباً يجهلون إن كانوا بطوفون
بين الأحياء أو الموتى . فالتيّار الأبدى
دائماً بجرف جميع العصور بين العالمين
بصوت أقوى من أصوانها في كليهما .

وأحيراً ، لم يعودوا في حاجة إلينا الذين نركونا قبل أوانهم ؟
فالإنسان يرفق يهجر الأرضي
كما في رفة يهجر صدر أمه .
ولكن نحن الدس في حاجة إلى أسرار كبره كهنده ،
نحن الذين لنا الحزن مبع
لتعدّم سجد : هل نفدر أن يستمرّ بدونهم ؟
هل الأسطورة عنا : أنه مرةً بالحب على لنوس
نعم أولى حربيء خرق الساس الحاف

وفي الفضاء الخائف الذي تركه فجأةً فنيُّ يكاد يكون إلهياً
أحسّ الفراغُ بتلك الرَّعشةِ التي الآن
تسحرنا ، تُعزِّينا وتُعيننا ؟

المرثية الثانية

كلُّ ملائِكٍ مُرعبٍ ، ومع هذا ،
عارفاً إِيَّاكَ ، أَعْنَيْكَ ، يا عَصَافِرَ النَّفْسِ
شِبْهَ المَمْبُتَةِ . اين أَيَّام طوبى ،
حين وفف الأَكْثَرُهم بَرَقاً عند باب البيت البسيط
قليلاً مُمَوَّهاً للسَّفر ، وهكذا عبُرُ مُخِيفٍ ،
(فنى للبنى الذي تطلَّعَ خارجاً مستطلعا) .
لو ينزل الملائكُ الكسُرُ الآن ، الملائكُ الحَطَرُ من وراء النُّجوم
خطوة إلى ها :
حافقاً نفوَّةً بمضى علبا القلب من أنم ؟

نحاحاتٌ ناكرةً ، أنم با مُدَلَّعيّ الحلَى ،
سلاسلُ المرنفعات ، درى وردبَّةً في فحر
البداناب ، -- لفاحُ الألوهة المبرعمه ،

مفاصلُ النّور ، ممراتٌ ، دَرَجَاتٌ ، عروشٌ ،
فضاءاتٌ من الوحود الحوهرِيّ ، دروعٌ من السّعادة ،
هديرٌ من الشّعور العاصف المُننشي ، وفجأةً ، على حِدَةٍ ،
مرايا : المرايا التي تعيد إلى ملامحهم
جمالهم الفائض عنهم .

لكنّ نحن ، عندما نشعر نتبخر ،
آه ، نحن نلهث أنفسنا خارجاً وبعيداً ، من جذوةٍ إلى
جذوةٍ
نُعطي رائحةً أخفّ . حقّاً ، يقول لنا واحدٌ :

«بلى ، أنتَ في دمي ، وهذه الغرفة ، هذا الربيع
ملئى بك» . . . فما الفائدة ، هو لا يقدر أن يُقَبِّنا ،
نحن نزول فيه وحوله ، والأشياء الجميلة
آه ، مَنْ يُقْبِيها ؟ دائماً على وجهها
يبين مظهرٌ خادع ويزول . كاللّدى من عشبِ الصّباح
يتركنا ما لنا ، وكلحرارةٍ من طعامٍ ساخن .

آه ، أيتها الابتسامة ، إلى أين ؟ آه ، أيتها النظر إلى فوق :
يا موجة القلب الهاربة والدافئة الجديدة - ،
وبلي : هذا ما نحن . أما في الفضاء الكلي
الذي ننحلّ فيه طعمنا ؟ وهل يُمسك الملائكةُ
بالفعل فقط بما لهم ، بما يفيض عنهم ،
أو أحياناً ، كما لو غفلةً منهم ،
قليلٌ من وجودنا عندهم ؟
وهل نحن في ملامحهم بالكادِ ممتزجون
كالغموض في وجوه النساء الحاملات ؟
هم لا يعون ذلك

في رجوعهم المحموم إلى ذواتهم . (كيف يعون ذلك ؟)
والعشاق ، لو عرفوا
لَقَالُوا أَسْيَاءٌ عَجِيبَةٌ فِي هَوَاءِ اللَّيْلِ ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ
يبدو أَنَّهُ يَحْبِبُنَا . أَنْظِرْ ، الأشجار موجودة ، والبيوت
التي نسكنها لم تزل قائمة . نحن وَحَدْنَا
نعبر كلَّ شَيْءٍ كهواءٍ خلف هواء ،

وكلّ شيء مُتَّفَق على أن يكون لنا ساكناً ، ربّما من العار
إلى حدّ ما ، وإلى حدّ ، من رجاء لا يُقال .

أيّها العشّاق ، أنتم أيّها المكثّفون بعضُكم مع بعض ،
أسألكم عنّا . كلُّ واحدٍ منكم يُمسك بالآخر ، فهل
لديكم براهين ؟

أنظروا ، يحدث أن يديّ تسعرا ببعصهما ،
أو أنّ وجهي المتآكل

يُختمي فبهما ، وهذا يمنحني قلبلا
من الحسّ ، ولكنّ من بجرأ أن يكون فقط لذلك ؟
ولكن أنتم ، يا من تكبرون ، كلُّ واحدٍ في سِوَةِ الآخر ،
حتى في امتلائه يوسّل : « كفى » ، أنتم الذين في أبدي
بعضكم البعض تصيرون أكثر غنى من فصول
العنب ،

أنتم ، يا من تزولون أحيانا لأنّ الآخر يقوى :
أنتم أسألكم عنّا . أنا أعرف ،

أنتم نئلامسون بهذه السّعادة ، لأنّ المداعبة تستمرّ ،
 لأنّ المكان الذي يعطّوه ،
 أيّها الأرقاء ، لا يزول ، لأنّكم فيه
 تتحسّسون الدّيمومة النّفّة . وهكذا تعدّون أنفسكم
 بالأبدية ، تقريباً ، من العناق . ومع هذا ، عندما اجترنم
 رعبَ النظرات الأولى والحينَ على النّافذة
 والنّزّهة الأولى معاً مرّةً في الحديقة :
 أيّها العشاق ، هل يقنم أنفسكم ؟ عندما نرفعون بعضكم
 بعضاً

إلى الشّفاه : كأساً إلى كأس :
 آه ، كيف يُهمل الشاربُ عند ذاك بعرايه فِعْله .

ألم يدهشكم في نفوسِ الأعمدة اليونانية
 حَذَرُ الايماء البشريّ ؟ ألم يكن الحبُّ والفراق
 حفيفاً على الأكتاف كما لو أنّه من مادّة
 غير مادّنا ؟ تذكّروا الأيدي
 كيف نستريح بلا تَقَلٍ رَغَمَ القوّة في الأبدان .

هؤلاء المتحكمون بأنفسهم عرفوا : « إلى هنا لنا أن نذهب ،
لنا أن نلامس بعضنا هكذا ، بأكثر قوة تضغط علينا الآلهة .
غير أن هذا شأن الآلهة . »

لو نعثر أيضاً على مكان ضيق بشري ، ملموم ونقي ،
على أرض لنا ممتدة بين النهار والصحرة ؛ لأنّ الفل
أبداً يتحطّان كما تحطّي أولئك الآخرين ، ولا يعود في
مفدورا

أن نلاحقه في الصّور التي نهّدته ،
ولا في أحساد إلهة فيها بصير أكثر اعتدالاً .

المراثية الثالثة

أن تُعني الحبيبة شيء ، وشيء آخر ، آه ،
 أن تُعني ذلك النهر - الاله من الدّم ، النهر الخفيّ المجرم ،
 هذا الذي تعرفه هي من بعيد : عشيقها الفتى ، ما يعرف هو
 عن سيد الشهوة الذي غالباً من المعتزل ،
 قبل أن تهدئه هي ، وأحياناً كما لو غير موجودة ،
 آه ، من أيّ مجهول يقطر ،
 يرفع الرأس داعياً الليل إلى هدير بلا حدود .
 آه ، من نبتون الدّم ، آه ، من عصاه المثلثة الرأس المخيفة .
 آه من ريح صدره الداكنة الطالعة من صدقة ملتوية ،
 أصغ إلى الليل كيف يتجوّف وينخفض . وأنت ، أيتها
 النجوم ،
 ألا تطلع منك رغبة العاشق لوجه حبيته ؟
 ليست رؤاه العميقة في وجهها النقي

آتيةً من النجم النقيّ ؟

ما أنتِ ، آهٍ ما أنتِ يا أمّه
 سدّدتِ قوسَ حاجبه إلى هكذا ترفُ ،
 وليس لكِ ، أيتها البنتُ التي نُحسّه ، ليس لكِ
 تقوّستِ شفتاه لتعبير أكثر غنى .
 هل تظنّين حقاً أنّ خطوك الرقيق
 يهزّه بهذه الشدّة ، أنتِ ، أيتها المتحرّكة كأسام الفجر ؟
 حقاً إنك أخفتِ قلبه . لكن مخاوف أكثر قدماً
 تدافعت فيه عند تلك الهزّة السّعوريّة .
 اهتفي له . . . إنك لا تهتفين له كقابة لتعديده عن محيطه
 الدّاكن .

حقاً إنّه بريد . إنّه بُفّلت منه ، في راحه
 يعودُ نفسه على قلبك الحميمي ، يأخذ ويبدأ نفسه .
 لكنّ ، هل هو الذي بدأ نفسه حقاً ؟
 أنّتها الأمّ ، أنتِ التي عمّلتِه صعباً ، أنتِ التي بدأ به .

لكِ كان جديداً ، أنتِ أحييتِ على العيون الجديدة
 العالمَ الصديق ، وحميهِ من العالم الغريب .
 آه ، ابن هبِ الأعوام التي فيها نكلّ ساطلة
 حجبِ عنه بشكلكِ النّحيل الظّلامَ اللانهائيّ الهائج ؟
 حجبِ عند الكثير هكذا . الغرفةُ المُرِيّةُ ليلاً
 جعلتها آمنةً ، ومن قلبكِ الملبىء بالأمان
 مزحتِ فضاءه الليليّ بفضاء أكثر أنساً .
 لا في الظّلمة ، كلاً ، بل في وجودكِ الأقرب
 وضعتِ القنديلَ المضاء وأنار ، كما لو من صداقة .
 ما من خريسةٍ إلّا أوضّحها باسمّةٍ
 كما لو عرفتِ من رمان منى أرضُ البيتِ الخشبيّة
 هكذا نفعل . . .
 وهو أصغى واطمأنّ . هكذا في رقّة فعل حضورك الكثير .
 إلى حلفِ الخزنة تراجع قدره الطويل لابساً معطفاً ، وفي
 طبّات الستار
 تناسب غدّه القلق ، غدّه الذي قليلاً تأخّر .

أمّا هو ، هو المطمئنّ ، كبف رقد تحت جفونٍ ناعسةٍ
 مازجاً حلاوةَ شكلِك الخفيف
 برقادٍ قصيرٍ خفيف : بدا محمياً . . . لكنّ داحلياً :
 مَنْ قدرَ أن يقاوم وأن يمنع في داخله طوفان الأصل ؟
 آه ، لم يكن أيُّ حذرٍ في النائم . نائمٌ
 لكنّه حالم ، لكنّه محموم : كيف أطلق نفسه !
 هو الجديدُ الخائف ، كيف بدأ يتشربك
 بالغصون المتشابكة للحدّت الداخليّ
 مدفوعاً إلى النموذجي ، إلى النمو الخائق ،
 وإلى أشكال حيوانية مفترسة . كيف أسلم نفسه — ،
 أحبّ .
 أحبّ عالمه الداخليّ ، برّيته الداخليّة ،
 هذه الغابةُ البالغةُ القِدَم فيه ، على جذوعها الساقطة الخرساء
 وقف قلبه أخضر الضوء . أحبّ .
 تركها ، وخرج من جذوره إلى بدايةٍ أوليّةٍ عنيفةٍ
 متخطياً بهذا ولادته الصغيرة . بمحبّةٍ
 هبط في الدّم الأكثر قدماً ، في الوديان السحيقة

حيث المُرْعَبُ ما زال شبعان من الآباء ،
 وكلّ مرعِبٍ عرفه ، أوماً إليه ، كما لو في تفاهم .
 بلى ، المُرْعَبُ ابتسم ، نادراً
 ما ابتسمت بهذه الرّقة ، أيتها الأم .
 كيف لا يحبّ ما تبسّم له . قبلك أحبه ،
 لأنك عندما حبلت به
 كان محلولاً في الماء الذي يجعل البذرة خفيفة .

أنظر ، نحن لا نحبّ كالزهور
 لسنة واحدة . عندما نُحبّ ، عصيرُ بالغِ القدمِ
 يصعد في سواعدنا . آه ، أيتها الفتاة ،
 هذا : ما أحبينا في داخلنا لم يكن شيئاً واحداً ، واحداً مُقبلاً ،
 بل التخمّر بأعدادٍ لا تُحصى . لم نحبّ طفلاً بمفرده ،
 لكن الآباء الذين في أعماقنا
 كخرائب جبليّة ، بل مجرى النهر الجافّ
 لأمّهات قديمات ، بل الأراضي الصّامّة
 تحت القدر المغيم أو النقيّ :

هذا كله كان سابقاً لك ، أيتها الفتاة .

وَأَنْتِ نَفْسُكَ مَا نَعْرِفِينَ ؟ أَنْتِ أَثَرُ
زَمناً بِالْغَ الْقِدَمِ فِي الْعَاشِقِ . آيَةً أَحَاسِيسِ
تَدَقَّقْتُ مِنْ كَاتِنَاتِ زَائِلَةٍ ! وَكَمْ مِنْ امْرَأَةٍ
كَرِهْتُكَ هُنَاكَ . وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ صَلَبٍ
أَثَرُ فِي عُرُوقِ الْفَتَى ؟

صَغَارُ مَوْتِي أَرَادُوا الْوَصُولَ إِلَيْكَ . . . آه ، هَدوء ، هَدوء ،
إِفْعَلِي شَيْئاً حَسَناً أَمَامَهُ ، عَمَلاً بَوْمِيّاً أَكِيدُ — حُذِيهِ قَرِيْباً

من الحديقة

وامسحيه قدر الليالي المتفوّقة ،

أَمْسِكِي بِهِ

المرثية الرابعة

آه ، با سحرَ الحياة ، آه ، منى يحين الشَّاء ؟
نحن لسنا موافقين ، لسنا كطيور الرِّحيل
بالحدس عارفين . مسبوقين ومتأخرين
ندفع بأنفسنا إلى الرِّياح فجأةً
وعلى حوضٍ بلا شفقةٍ نسقط .
الإرهار واللباس نَعبهما في وفءٍ واحد ،
وفي مكابٍ ما لا تزال الأسود تسير
وتجهل كلَّ ضعفٍ وهي في عزِّها .

ولكن نحن ، حين نُزَمع على شيءٍ نَماماً
نُحسّ بفِئمةٍ شيءٍ آخر . العداءُ
أول ما نشعر به . الا يقترب العشاقُ دائماً
من النَّخوم ، واحدُهم مع الآخر ،

وَيَعِدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَسَافَةِ وَالصَّيْدِ وَالْوَطَنِ ؟

كما لو في رَسْمَةٍ سَرِيعَةٍ ، يَنْهَيًّا فِي مَشَقَّةٍ
أَسَاسٍ مِنَ التَّنَاقُضِ حَتَّى نَرَى فِي صُورَةٍ أَوْضَحَ ،
نَحْنُ الَّذِينَ لَا نَعْرِفُ مِنْ مَعَالِمِ الشُّعُورِ
إِلَّا سَطْحَهُ الْخَارِجِيَّ .

مَنْ لَمْ يَفْ خَائِفًا أَمَامَ سِتَارِ قَلْبِهِ ؟
السَّتَارُ ارْتَفَعَ : وَالْمَشْهَدُ وَدَاعَ .
هَبَّ إِدْرَاكُ ذَلِكَ . الْحَدِيقَةُ الْمَعْرُوفَةُ
أَهْنَزَتْ قَلِيلًا : ثُمَّ جَاءَ الرَّاقِصُ أَوَّلًا ،
لَيْسَ هُوَ ، يَكْفَى . وَمَعَ أَنَّهُ فِي خَفَّةٍ يَتَحَرَّكُ
فَهُوَ مَمُوءٌ بِلِبَاسِهِ ، يَتَحَوَّلُ إِلَى بُورْجَوَازِي

وَالِإِلى مَنْزِلِهِ يَدْخُلُ مِنَ الْمَطْبَخِ .
لَا أُرِيدُ هَذِهِ الْأَقْنَعَةَ نَصْفَ الْمَلَانَةِ ،
أَفْضَلَ اللَّعَةِ . إِنَّهَا مَلَأَى .
سَأَحْتَمِلُ الْحَلْدَ الْحَشْوُ وَالشَّرِيطَ

ووجهها الظاهريّ . هنا . أنا أنتظر .
 حتى لو انطفأت الأنوار ،
 وقيل لي : « هذا كلّ شيء » ،
 حتى لو من المسرح جاء الفراغ من السّمة الرّماديّة ،
 ومن آبائي السّاكنين لم يعد أحدٌ معي ، لا امرأة ،
 ولا حتى الولد بعينه السّمراء التي تُحوّل :
 مع هذا ، سَأبقى . فهناك أبداً شيء للمشاهدة .

أَلستُ على حقّ ؟ أنتَ ، يا من تمررتَ
 في الحياة بعد ما ذقتَ حياتي ، أنتَ يا أبي ،
 ذقتَ ذلك النّقيع الأوّل لِقدري الكئيب ،
 وبينما كُتُ أنمو ، كنتَ تذوقه في استمرار ،
 وقلقاً لطعمة مستقبلٍ غريب
 تفحصتَ نظرتي الغائمة –
 أنت الذي ، يا أبي ، منذ أن متّ ، غالباً
 تُحسّ بالخوف عليّ ، عميقاً في رجائي ،

ولصيري القليل تمنح الراحة ، ممالك من الراحة الني
أسيادها الموتى .

ألسن على حق ؟ وأنتم ، ألسن على حق

أنتم ، يا من أحبتموني للداية القليلة
من حبي لكم ، الحب الذي كنت دائماً أنحنه
لأن الفضاء في ملاحكم ،

الفضاء الذي أحببت ، صار فضاء كونياً
وفيه ما عدتم تظهرون وعندما أشعر بالرغبة
في أن أنظر أمام مسرح اللعبة ، كلاً ،

بل أحقق ملبأً إليها ، وحتى في النهاية بعود النوازن إلى
مناهدني ،

على ملاك أن تظهر في شكل لاعبٍ ويرفع الحلود المحشوة .

ملاك ولعة . وأخيراً التمثيل الحقمي .

عندئذٍ نلتقي ما فصلناه دائماً بوحودنا .

فطلع من فصولنا

دورة الحول بكامله .

وفوقنا هناك يلعب الملاكُ عدائِي .
تطلَّعُ ، أما على الموبى أن يظنَّوا
أنَّ ما نعومُ به هنا عبرُ حَفِيفِي وملييُ بالتَّظاهر ،
حِثُّ لا سبِيء دانه بالفعل ، آه ، با ساعاتِ الطفولة ،
حين كان وراء الأشكال أكثر من الماصِي
وما كان أماننا لم يكن المستقبل

حقاً ، إنا كُربا ، وأحباناً
بالجَاحِ أردنا أن نكبر ،
حزناً من أجل أولئك الذين لم يعد لديهم
سوى الكِبَرِ
وفي وُحْدَتنا كُنَّا سَلَى فقط بما يدوم ،
وبين العالم واللَّعة كُنَّا نَفِ
في مكانٍ مُهِمّاً منذ البدء
لحدث نَفَى .

منْ بدلَ الطَّلَلِ إلى ما هو في الحفصه ؟

مَنْ يضعه في النّجوم ، وفي يده
يُعْطيه مقياسَ المسافة ؟
مَنْ يجعل موتَ الصّغار
من الخبز الرّماديّ الذي يقسو -
أو يتركه في الفم المستدير
كعَجْوَةٍ تَفَاحَةٍ جميلة خائفة ؟
هَيِّنْ أَنْ نفهم القَتْلَ . لكن هذا :
أَنْ نحتوي الموت ، الموتَ بكامله ، حتى قبل الحياة ،
برفقي أَنْ نحتويه ونرضى ،
شيء لا يوصف .



بابانو بیکاسمو : الیهلوانیون (Saltimbanques)

المريثة الخامسة

إلى السيّدة هيرثا كوينغ

لكن ، قل لي ، مَنْ أولئك المسافرين أبداً ،
هؤلاء الذين هم قليلاً أكثر هرباً منا ،
هؤلاء الذين منذ البداية
(آه ، لأجل مَنْ) بقوة تدفعهم إرادة لا ترتوي ؟
تدفعهم ، تلويهم ، تقذفهم وتورّجهم
تطرحهم وتلتقطهم من جديد ،
كانّهم يسقطون من هواء مُزيّتٍ أملس
على بساطٍ رقيقٍ متآكل
من قفّزهم الأبدى .
هذا البساط الضائع في الكون .
ملتصقٌ كلزقةٍ
كما لو أطرافُ السّماء هناك

آلتِ الأرض .
وبالكادِ هناك ،
مُتَّصِباً يظهر هناك :
الوجودُ بِحَرْفِهِ الأوَّلِ الكبير
حتى أقوى الرِّجالُ تُدحرجهم ثانيةً للتَّسْلِيَةِ
القبْضَةُ الدَّائِمَةُ القُدوم
كما يفعل أوغسطس القويّ
بصبحنٍ من تَنَكَّ على المائدة .

آه ، وَحَوْلَ هذا المركز
ورْدَةُ المشاهدة :
تُزهر وتسقط أوراقها .
وحول هذا السَّاق ،
حول هذه المدقَّة التي تُلقح ذاتها
منتجَّةُ ثمرة الضَّجَرِ الخادعة - الضَّجَرِ الذي لا يَعُونهُ ،
والمبتسِّمُ ظاهريّاً قليلاً
ومُضْئِيٌّ بِسطحٍ بالغِ الرِّقَّة .

وهناك الرَّافعة الذَّابِلَة المتَّحِدَة ،
 رجلٌ عحوز فقط ما يزال يُطَبِّل
 داخلاً في جِلْدِه القويِّ
 كما لو ضمَّ جِلْدُه رجلين ،
 أحدهما يَرقد من زمانٍ في المقبرة
 بينما هذا الواحد عاش بعده أصمَّ ،
 وأحياناً مُشْرَبَكاً في جِلْدِه المترمل .

لكنّ الفتى ، الرجل ، كما لو أنّه ابنُ رَقَبَة
 وراهبة : صَلْبٌ وملبىء بالعضلات والبراءة .

آه ، أنتم ،
 عندما كان الألم لا يزال صغيراً ، وأنذاك حسبتموه كلعبة ،
 في إحدى نقاهاته الطويلة . . .

وأنت ، يا من تسقط بعنفٍ
 سقوطاً تعرفه الثَّمار الفجّة وحدها ،

تسقط يوماً مئة مرة
 من شجرة الحركة المشتركة
 (الشجرة التي بأسرع من الماء ،
 وفي لحظات قليلة
 تعرف الربيع والصيف والخريف)
 تسقط وتلتطم بالقبر :
 وأحياناً ، في هنيهة خاطفة ،
 دفء يسرّب من وجهك إلى أمك النادرة الرقة .
 لكنّها على جسدك تضيق ،
 الجسد الذي سطحه يستهلك الوجه الخجول ،
 الوجه القليل التجربة . . .
 وثانيةً يُصَفّق الرجلُ بيديه لتقفز ،
 وقبل أن يصير الألم جنبَ قلبك الدائم السرعة أكثرَ
 وضوحاً
 تشعر بحرق نعل القدم
 سابقاً ذلك الألم الآخر ،
 ومطارداً في العيون دمعاتٍ جسديّة سريعة ،

ومع هذا ، دون سبب ، الابتسامة
 أيّها الملاك : آه ، خُذْهَا ، اقْتَلِعْهَا
 عشبة الشفاء ذات الزهرة الصغيرة
 واصنعْ لها إناءً واحفظْها :
 ضَعْهَا بين الأفرّاح التي لم تنفتحْ لنا بعدُ .
 في إبريقٍ ظريفٍ مجّدها بنقشٍ فخْمٍ زَهْرِيٍّ :

Subrisio Saltat

عندئذٍ أنت ، أيّها الحبيب ،
 أنت ، يا مَنْ في خَرَسٍ
 تتخطّاه أعمقُ الأفرّاح .
 ربّما كانت شراشيكُ الملوّنة سعيدةً من أجلك ،
 أو على صدرك القويّ الفتّيّ
 يشعر الحريرُ المعدنيّ الأخضر
 بغنجٍ لا - نهائي ، ولا يُعوّزه شيءٌ آخر
 وأنت ، يا ثمرةَ الرّاحةِ الظّاهرة للجميع بين الأكثاف ،
 ومُلَقاةً أبداً في تعادلٍ الميزان المرتجف ،

أَيْنَ ، آه ، أَيْنَ الْمَكَانَ - احْتَلِهْ فِي الْعَلَبِ -
 حَيْثُ لَمْ يَكُونُوا بَعْدَ عَادِرِينَ ،
 فَسَقَطَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ،
 كَحَيَوَانَاتٍ لَمْ تَجَامِعْ فِي طَرِيقِهِ صَحْبَهُ ،
 حَيْثُ الْأَحْمَالُ لَمْ تَزَلْ تَمْبَلُ
 وَحَيْثُ مِنْ عَصِيهِمُ الدَّائِرَةُ عَسَا
 لَمْ تَزَلْ الصَّحُورُ تَتَرَنِّجُ .

وَفَجْأَةً فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمَتَّعِ ،
 فَجْأَةً فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَا يُوصَفُ
 حُبُّ الْفَلِيلِ النَّفَى يَتَحَوَّلُ فِي صُورِهِ لَا يَدْرِكُ ،
 يَقْفِزُ وَيَنْحَوِّلُ إِلَى الْكُنْهِ الْفَارِغِ ،
 حَيْثُ الْخَسَابُ امْتَعَدَ - وَهْ
 بِلَا عَدَدٍ بِصَبِيرٍ .

أَبْنَاهُ الْأَمَاكِي ،
 آه ، أَيْنَ الْمَكَانَ فِي بَابِ الْمَسِيرِ .

ما مكان المشاهدة الا - بهاته .
 حيث بائعة القبعات الستة دسرت
 تحول وتطوف طرقات الأرض القلعة .
 هذه الشرائط الا - بهاته
 ومنها تصنع عفدا وكشاكس ورهيرا وويرا
 وتمارا اصطناعته - كلها مصبوغة -
 لقبعات القدر الشائنة الحصنة

أيها الملاك : لو يوجد مكان لا يعرفه .
 وهناك ، على ساط لا يوصف
 لو أظهر العتاق ما يفوق طاقتهم ها :
 الصور الرفيعة الجريئة لحققان العيب
 وأبراج الرعد ،
 والسلاالم التي بلا أرض
 بعضها يكيء على بعض في انحناف -
 لو تمكّنوا من هذا أمام المنفرجين ،
 أمام الموبى الصانين الذين لا عدد لهم :

ألا يَطرح الموتى ، عندئذٍ ، نفوذ السَّعادة الأبدية القيِّمة
والأخيرة التي وفَّروها وخبَّأوها ، والتي لا نعرفها ،
لأثنين حقيقةً يتسمان أخيراً
على بساطٍ مكتفٍ ؟

المرثية السادسة

يا شجرة التين ،
كم يعنني لي من زَمَنٍ
كيف تَرمعين تقريباً كُلياً على الإزهار ،
وفي الثمرة المسرعة إلى النضوج
تدفعين بِسِرِّكَ النقيّ دون إعلان .
كأنبوبِ النَّبع تدفع جُذوعك الملوّنة
العصيرَ نزولاً وصعوداً : فيَقْفز من نومه
غيرَ مستيقظٍ تماماً إلى فرح إنجازهِ الأُحلى .
أنظرُ : كالإله في الأوزة .

أمّا نحن فلا نتحرّك ،
آه ، يُفرِحُنَا أن نُزهر ،
وإلى الدّاخل المتأخّر لِثمرتنا النهائيّة

نصل معدورين .
في قلّة يصعد زخْمُ الفعلِ بهذه القوة ،
حيث هم يقفون ويتوهّجون في امتلاء القلب
عندما الإغراء بالإزهار
كهواء ليلٍ ناعم
يُلامس عتوّ الفم والأهداب :
ربّما الأبطال ، والذين قدّرهم الرّحيل الباكر ،
أولئك الذين في شكلٍ مختلف يلوي عروقهم الموتُ
الرّاعي لهم ،
هؤلاء يسقطون إلى هناك
سابقين ابتسامتهم
كما تسبق الخيولُ المنطلقة في صورِ الكرنك
الهادئة المنخفضة الشّكل الملك المنتصر .

غريبٌ كم بقارب البطلُ الموتى الصّغار .
الثّباتُ لا يعنيه .
ظهوره وجود .

أبدأً ينطلق ويدخل الفلكَ المتحوّل لِخَطَرِهِ الدّائم .
 هناك يجده القليلون .
 غير أنّ القَدَرَ الذي عابساً يَسْكُتُ عَنَّا ،
 القَدَرَ المنتعش فجأةً يُغْنِيهِ
 ويقذفه في عاصفةٍ عالمه الهادر .
 لا أسمع أحداً مثله .
 دفعةً واحدةً تخترقني
 نبرته الدّاكنة في الهواء المتدفّق .

كم أودّ لو أحجُبُ نفسي عن الحنين :
 آه ، لو كنتُ ، لو كنتُ فتىً ،
 وحتى الآن ، لو بمقدوري أن أكون ،
 وأجلسُ مستنداً على السّواعد المستقبلية
 وأقرأ شمشون ،
 كيف أمّه لم تحمل شيئاً في الأوّل ،
 لكن أخيراً ، كلّ شيء .
 ألم يكن فيك بطلاً ، أيّتها الأمّ ،

أَلَمْ يَدَأْ فَيْكَ هُنَاكَ اخْتِيَارُهُ السَّيَادِي ؟
 أَلَوْفٌ تَخْمَرُوا فِي الرَّحْمِ ، وَتَمَنُّوا لَوْ يَكُونُونَ هُوَ .
 وَلَكِنْ انظُرْ : هُوَ اسْتَوْلَى وَتَرَكَ ، اخْتَارَ وَقَدَّرَ .
 وَعِنْدَمَا حَطَّمِ الْأَعْمَدَةَ ، حَدَثَ هَذَا
 لِأَنَّهُ انْفَجَرَ مِنْ عَالَمِ جَسَدِكَ
 إِلَى الْعَالَمِ الْأَضْيَقِ
 حَيْثُ وَاصَلَ الْاِخْتِيَارَ وَالْاِنْجَازَ .
 آه ، يَا أُمَّهَاتِ الْأَبْطَالِ !
 آه ، يَا مَنَابِعَ السَّيُولِ الْجَامِحَةِ !
 أَنْتِ ، أَيَّتُهَا الْمَهَاوِي الَّتِي فِيهَا
 عَالِيًا مِنْ طَرْفِ الْقَلْبِ
 نَادِبَاتِ سَقَطَنَ الْبِنَاتُ ضَحَايَا لِلْإِبْنِ
 لِأَنَّ الْبَطْلَ لَوْ اِنْدَفَعَ فِي مَحَطَّاتِ الْحَبِّ
 لَدَفَعَتْهُ كُلُّ نَبْضَةٍ قَلْبٍ مَنْدُورَةٍ لَهُ إِلَى الْأَمَامِ ،
 وَمَتَجَاوِزًا يَقِفُ عَلَى طَرْفِ الْاِبْتِسَامَاتِ ، شَكْلٌ آخَرُ .

المرثية السابعة

لا شكوى بعد الآن ، لا شكوى ،
 الشكوى التي تخطأها الصّوت ،
 ستكون طبيعة صُراخك ،
 حقاً ، في نقاوة ستصرخ
 كالعصفور حين يرفعه الفصلُ الصّاعد
 ناسياً تقريباً أنّه حيوان ضعيف ،
 لا قلبٌ فقط يقدفه الفصلُ في الضياء ،
 في السّماوات الدّاخلية .
 مثله تودُّ لو تشكو ، لا أقلّ -
 إلى حبيبةٍ غير مرئيةٍ بعدُ تشعر بك ،
 حبيبةٍ ساكنةٍ يستيقظ فيها الجوابُ بطيئاً ،
 وعند سماعها تدفأ - الرّفيقة المتّقدة لشعورك الجريء .

آه ، والرَّبيع يشعر بذلك - ، فما من مكانٍ
 إلّا ويحمل نَبْرَةَ البُشرى ،
 أوّلاً تلك النُّعمة المستفسرة الصَّغيرة
 التي في سَكِينَةٍ متصاعدة
 يجعلها نهارٌ نقيٌّ مستجيب
 أكثرَ صمتاً .
 ثمَّ الدَّرَجَاتُ صعوداً ،
 دَرَجَاتُ النداءِ حتى هيكلِ الغدِ الذي في الحلم ،
 ثمَّ المزغردة : النّافورة التي في اندفاعها إلى فوق
 تتوقّع سقوطَها في لعبٍ من الوعود .
 وبعد ذلك الصَّيف !
 لا صباحاتُ الصَّيفِ كلّها فقط ، ولا فقط
 كيف هذه إلى نهارٍ تتحوّل وتضبيء بالبداية .

لا النّهارات فقط ، النّهارات التي في رقّةٍ تُحيط بالزّهور ،
 وإلى فوق ، تُحيط بالأشجار ذات الأشكال القويّة العنيفة .
 ولا فقط وَرَعُ هذه القوي المتفتّحة ،

ولا الدروب فقط ،
 ولا المراعي في المساء فقط ،
 ولا فقط الصفاء المتنفس بعد عاصفة متأخرة ،
 أو فقط النوم المقرب والتأمل في المساء
 لكن الليالي أيضاً !
 لكن ليالي الصيف السامية ،
 لكن النجوم ، نجوم الأرض .
 آه ، لو أموت ، وأعرفها بلا نهاية ،
 هذه النجوم كلها ، : فأننا كيف ، كيف ، كيف أنساها !

أنظر ، ها أنا دعوت الحبيبة ،
 غير أنها لن تجيء وحدها ،
 من قبور ضعفية فتيات يأتين ويقفن ،
 لأنني كيف أحصر ، كيف أحصر النداء الذي أناديه ؟
 الموتى ما زالوا أبداً يطلبون الأرض .
 وأنتم ، أيها الصغار ، شيء هنا نفهمه مرة لا غير
 يساوي أشياء كثيرة .

لا تظنّوا القَدَر أكثر ممّا هو في طينة الطّفولة .
كيف تتخطّون الحبيبَ غالباً ،
لاهثين ، لاهثين بعد ركضٍ سعيد
إلى لا شيء ، إلى الحرّيّة .
الوجود هنا رائع .
أنتنّ ، يا صبايا ، عرفتنّ هذا ،
أنتنّ ، يا من ظاهريّاً بدوّتنّ بلا وجودٍ كمن غرق - ،
أنتنّ ، يا من في أسوأ أزقة المدن
مقرّحات ، معرّضات للزبالة .
لأنّ كلّ واحدةٍ كانت لها ساعتُها ،
وربما ليست تماماً ساعة ،
فترةٌ تكاد لا تُقاس بمقياس الزّمن بين برهتَيْن - ،
كان لها وجود ،
كلّ شيء ، عروقُها ملأى بالوجود .
غير أنّنا نحن في سهولةٍ ننسى
ما لا يؤكّده الجارُّ الضاحك ولا يحسده .
نحن نريده أن يظهر ،

بينما السَّعادةُ الأكثرُ ظهوراً
تَجعلنا نُحسّ بها أولاً
عندما نحولُها داخلياً .

في لا - مكان ، أيتها الحبيبة
بصير العالم إلا في الدّاخل .
حياتُنا تزول في التحوّل .
ودائماً يصير الخارجيّ أقلّ .
حيث كان مرّةً بيتٌ دائم
تحلّ صُورٌ ذهنيّةٌ تعترضنا ، صُورٌ جاهزةٌ للتأمّل
كما لو أنّها لم تنزل في الدّماغ .
إن روح الزّمن تخلق لها مؤونةً كبيرةً من القوّة ،
مؤونةٌ لا شكلَ لها
كالطّاقةِ المتوتّرة التي تَستخرجها من كلّ شيء .
هي لم تعدّ تعرف الهياكل ، نحن الآن
نُوفّرُ تبديداً للقلبِ في السّرّ .
بلى ، حيث لا يزال هناك شيء يصمد ،

شيء له الصَّلَاةُ والخدمةُ والركوعُ
تماماً كما هو - ، يكون في اللامرئي .
كثيرون لا يَروَنه ، لكنّ دون أن يَجَنُوا الفائدة
من بنائه داخلياً بأعمدةٍ وأنصاب
في صورةٍ أعظم !

كلّ انعطافٍ غامضٍ في العالم يشتمل على من لا يرثَ لهم ،
لا لماضي يَخصّهم ، ولا الآتي القريب ،
لأنّ أقربَ شيءٍ يَظَلّ بعيداً أيضاً عن البشر .
وهذا يجب ألا يُربكنا ، بل يقوّي فينا
الاحتفاظَ بالشكل المعروف لَدِينَا - .
هذا مرّةٌ صمد بين البشر ،
صمَدٌ وَسَطَ القَدَرِ الماحق ،
وَسَطَ عَدَمِ - المعرفة - إلى - أين ، صمَدٌ كشيءٍ له وجود ،
وانحنتْ نجومٌ إليه من سماواتٍ آمنة .

أيّها الملاك ، أنتَ أيضاً أدلّكَ عليه ، إنّه هناك !
في مدى بَصَرَكَ يقفُ أخيراً سالماً ، وفي النّهاية مُتَصَبّاً .

الأعمدة ، الأبراج ، أبو الهول وركائز القبة المرتفعة ،
رمادية ، من مدينة تزول أو مدينة غرية .

الم يكن هذا معجزة ؟
آه ، تعجب ، أيها الملاك ، لأننا نحن هذا كله ،
نحن ، آه ، أيها الجبار ، خبر أننا نحن الذين فعلنا هذا ،
فنفسي غير كافٍ للمديح .
نحن لم نهمل الفضاءات السمحة ، فضاءاتنا .
(كم يجب أن تكون مخيفة الاتساع
لأن آلاف السنين لم تجعلها تفيض بأحاسيسنا) .
لكن برج ما كان كبيراً ، أليس صحيحاً ؟
آه ، أيها الملاك ، هكذا هو كان ،
حتى بجانبك كان كبيراً .
كاندراية تشارترس كانت كبيرة ،
والموسيقى وصلت إلى ما هو أبعد وتخطتتنا .
بلى ، حتى العاشقة ، آه ، وحيدة عند نافذة في الليل . . .
ألم تصل إلى ركبتيك ؟

لا تعتقد أنني أشكو ،
أيها الملاك ، حتى لو سكوت ، فأنت لا تجيء ،
لأن ندائي أبداً مليء بالانطلاق ،
وعكس تيار قوي كهذا لا تقدر أن تخطو .
كذراع ممدودة ندائي ،
ويدها المفتوحة للأخذ تبقى أمامك مفتوحة
كمن يدافع ويُنذر ،
أيها البعيد عن الإدراك ، بعيد هناك .

المرثية الثامنة

إلى رودولف كاسنر

بِكَلِّ عَيُونِهِ يَرَى الْكَائِنُ الطَّبِيعِيَّ الْمَدَى ،
غَيْرَ أَنَّ عَيُونَنَا ، كَمَا لَوْ مَعْكُوسَةٌ ،
تُحِيطُ بِهِ ، بِمُخْرِجِهِ الْحَرَّ ، كَشِيرَاكَ ،
وَمَا فِي الْخَارِجِ نَعْرِفُهُ فَقَطْ مِنْ عَيُونِ الْحَيَوَانِ ،
لَأَنَّنَا أَبَدًا نُدِيرُ وَجْهَ الطِّفْلِ فِي صِغَرِهِ
وَنُجْبِرُهُ عَلَى الْإِلْتِفَاتِ خَلْفِيًّا
لِرُؤْيَا الْأَشْكَالِ ،
لَا لِرُؤْيَا الْمَدَى الْعَمِيقِ فِي وَجْهِ الْحَيَوَانِ .
إِنَّهُ حُرٌّ مِنَ الْمَوْتِ . وَحَدَّنَا نَرَاهُ .
فَالْحَيَوَانُ الْحُرُّ دَائِمًا نَهَائِيَّتُهُ وَرَاءَهُ
وَأَمَامَهُ اللَّهُ ،
وَحِينَ يَتَحَرَّكُ ، يَتَحَرَّكُ فِي الْأَبَدِيَّةِ تَمَامًا كَالْيَنَابِيعِ .
فَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ أَبَدًا ، وَلَا لِيَوْمٍ وَاحِدٍ ،

الفضاء النقيّ أماناً ،
الفضاء الذي فيه الزهورُ تفتّح بلا نهاية .
أبداً أماناً عام .
ولا مرّة لا - مكان بدون لا - شيء :
ذلك الصّفاء ، ذلك الطّبيعيّ
الذي يتنفّسه الانسان
وبلا بهايةٍ يعرفه ولا يستهيه .
فيه يُضيعُ الطّفلُ نفسه أحياناً في هدوء
حتى يَهْزَهُ أحد .
أو أحدٌ يموت ويصيره .
لأنّ القريبَ من الموت لا يعود يرى الموت
وعبره يُحدّق ربّما بنظرة حيوانٍ كبيرة .
أما العسّاق
لولا وجودُ الآخر الذي يحجب الرؤيه
فإنّهم يقتربون منه وَبَدَهْتُول . . .
كما لو في غفلةٍ بفتّح لهم ما وراء الآخر
لكنّ لا أحدٌ بفدّر أن بتخطّى الآخر ،

وثانيةً يعود إليه العالم .
مواجهين المخلوقات أبداً نرى عليها انعكاسَ المدى
الذي يتعمّم بنا ،
أو حيواناً آخرس يتطلّع علينا ومن خلالنا بهدوء ،
وهذا اسمه القَدْر : في الجانب المقابل أن نكون
ولا شيء غير هذا ، ودائماً في الجانب المقابل .

لو أن الحسَّ الذي نملكه
موجود في الحيوان الواصل
الذي يتحرك صَوْبنا في جهة أخرى - ،
لخرفنا معه بهذه الحركة .
غير أن وجوده بالنسبة إليه لا - نهائي ، ولا يُدرك ،
ودون رؤيةٍ خالته . إنه نقيّ كنظريته .
وحيث نحن نرى مستقبلاً ، يرى هو كلَّ شيءٍ
مِذاته في كلَّ شيء . ودائماً في عافية .

ومع هذا ، في الحيوان اليقظ الدافئ
قلقٌ كآبةٍ كبيرةٍ وثقلها .

لأنَّ ما يَغمرُنَا غالباً - الذِّكرى ،
 يُصبيه دائماً أيضاً ،
 كأنَّ ما يندفع إليه الانسانُ الآن
 كان أقربَ فيما مضى ، أكثرَ صدقاً ،
 وصحبته رقيقةً بلا حدود .
 كلُّ شيءٍ هنا مسافة ، وأنداك كان نفساً .
 بعد الوطن الأول
 يكون الثاني له غامضاً ومتارجحاً .
 آه ، يا لسعادةِ الكائن الصغير
 الذي أبداً يبقى في الرَّحم الذي خلفه !
 آه ، هنيئاً للبعوضةِ التي تقفز أبداً في الدَّاخل
 حتى لو في عرسِها : لأنَّ الرَّحم كلُّ شيء .
 أنظرُ إلى العصفور نصفِ الواصل
 الذي يعرف تقريباً كليهما من البداية ،
 كأنَّه نفسٌ إتروسكانيَّة
 من مَيتٍ احتضنه الفضاء
 وهيأته المستريحة كغطاء .

وكم يكون مرتبكاً ذلك الطالع من الرحم
الذي عليه أن يطير ،
فكأنه خائف من نفسه
يخرق الهواء في اعوجاج كَشِقْ في فنجان ،
هكذا يخرق الوطواطُ خَزَفَ المساء .

ونحن : في كل مكانٍ أبداً متفرجون ،
إلى الشيء نلتفت ، لا خارجة !
إنه يملأنا . نُنظِّمه وينهار .
نُنظِّمه من جديد ، وننهار أنفُسنا .

من الذي أدارنا هكذا ، أننا نحن
وما نقوم به أيضاً في سلوكٍ من يرحل ؟
كما يَقِفُ هو على التلّ الأخير الذي يُريه واديه مرّةً أخيرة
يلتفت ، يتوقّف ويمكث ،
هكذا نعيش ، ودائماً في وداع .

المرثية التاسعة

لماذا ، عندما مدّة الوجود يُمكن أن تمضي كما الغار ،
قليلاً أكثر دكنة من كلّ شيء أحضر ،
مع موجات دقيقة
على طرف كلّ ورقة (كابسامة ريح) - لماذا ، إذا ،
علينا أن نكون بشراً
ومُجتنين القدر ، نحن إلى القدر ؟

آه ، لا لأنّ السعادة موجودة ،
هذه الفائدة الفجّة لخسارة قريبة .
ولا من الفضول ،
أو لمران القلب الذي يُمكن أن يكون في الغار أيضاً . . .
لكن لأنّ الوجود هنا شيء كثير ،

ولأنّ كلّ ما هنا ، هذا الذي يزول ،
يبدو في حاجةٍ إلينا ،
وفي غرابيةٍ يَهْمُنَا ، نحن الأكثر زوالاً .
كلّ شيءٍ مرّةً واحدة ،
فقط مرّةً واحدة ،
مرّةً واحدة لا أكثر ،
ونحن كذلك مرّةً واحدة ،
أبدًا لا مرّةً ثانية .
لكنّ أن نكون هذه المرّة الواحدة
حتى ولو مرّةً واحدة فقط :
على الأرض أن نكون ، يبدو أنّها لا تُلغى .

وهكذا نُجهد أنفسنا ونريد أن نُنجزها ،
نريد أن نحتويها في أيادينا البسيطة ،
في نظَرٍ فائض ، وفي قلبٍ صامت .
نريد أن نصيرها . لمن نُعطيها ؟
نودُّ لو نحفظ بها للأبد آه ، إلى الجانب الآخر .

وَيْلِي ، ما يأخذ الانسان إلى هناك ؟
لا المشاهدة التي يتعلمها هنا في بطن ،
ولا ما يحدث هنا .

لا شيء .

إذاً ، الأوجاع .

إذاً ، قبل كل شيء ، الكتابة ،

إذاً ، خبرة الحب الطويلة ،

إذاً ، لا شيء سوى اللايقال ،

وأخيراً تحت النجوم ، ما الفائدة :

كما هي ، أفضل : ألا تُقال .

فالجوال لا يأتي من منحني الجبل

بقبضة من التراب إلى الوادي ،

التراب الذي لا يُقال ،

لكن بكلمة اكتسبها ، بكلمة نقيّة

وبعشة زرقاء وصفراء .

هل نحن هنا ربّما لنقول :

بيت ، جسر ، نبع ، بوابة ، إبريق ، شجرة ، ثمر ، نافذة ،

أو على الأكثر : أعمدة ، برج . . . ؟
لكن لنقول ، تذكر ،
آه ، لنقول ما لم تتصوّره الأشياء ذاتها أبداً أن تكون بهذا
العمق .

أليست الغاية الخفية لهذه الأرض الصامتة
أن تجعل العشاق ، حين تجمعهم ، يشعرون بكل شيء
يرتعث

في أعماقهم بالنشوة ؟
العتبة : ما يعني لعاشقين يستهلكان قليلاً
عتبة الباب القديمة ؟
أيضاً هما ، بعد الكثيرين قبلهما

وقبل من يأتي . . . ، هكذا في صورة طبيعية .
هنا زمنُ اليقال ، هنا موطنه ،
تكلم واشهد .
أكثر من أيّ وقتٍ مضى تزول الأشياء ،
الأشياء التي نعيشها ،

لأنَّ ما يُزِيحها وَيَحُلِّ مَوْضِعَهَا
فعلٌ بلا صورة ،
فعلٌ تحت قشورٍ تنفجر بارادتها
حالما يتجاوزها العملُ في الدّاخل
إلى حدودٍ جديدة .
بين المطارق يصمد قلبُنا
كاللسانِ بين الأسنان ،
اللسان الذي ، مع هذا ، يواصل المديح .

إمدح العالمَ للملاك ، لا ما لا يُقال ،
فأنتَ لا تقدر أن تؤثرَ عليه
بما أحسستَ من روعة .
ففي الكون الذي هو يُحسّه بشعور أقوى
ما أنتَ إلّا مُبتدئ .
لهذا دلّه على شيء بسيط ،
على شيء يتكوّن من جيلٍ إلى أجيال
قريباً من البد والنظر كشيء يخصّنا .

قُلْ لَهُ الْأَشْيَاءُ
فَيَقِفُ أَكْثَرَ انْدِهَاشاً
وَقُوفَكَ جَانِبَ الْحَبَالِ فِي رُومَا
أَوْ صَانِعِ الْفَخَّارِ فِي النَّيْلِ .
دَلَّهُ كَمْ يَقْدِرُ عَلَى السَّعَادَةِ شَيْءٌ مَا ،
كَمْ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ بَرِيئاً ،
دَلَّهُ عَلَى مَا لَنَا ،
وَكَيْفَ الْأَلَمِ الشَّاكِي صَافِياً يُزْمَعُ عَلَى الشَّكْلِ ،
يَخْدُمُ كَشَيْءٍ أَوْ يَمُوتُ فِي شَيْءٍ ،
وَيَهْرَبُ إِلَى سَعَادَةٍ تَنْخَطِي الْكِمَانِ .
وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَعِيشُ عَلَى الزَّوَالِ
تَشْعُرُ عِنْدَمَا نَرْفَعُ الْمَدِيحَ إِلَيْهَا .
زَائِلَةٌ تَبْحَثُ عَنْ مُنْقَذٍ فِينَا ،
نَحْنُ الْأَكْثَرُ زَوَالاً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ،
إِنَّهَا تَرِيدُ أَنْ نَحْوِلَهَا كُلِّياً فِي الْقَلْبِ غَيْرِ الْمُرْتِيِّ
آه ، وَبِلا نِهَآيَةٍ فِينَا ، مَهْمَا نَكُنْ فِي النَّهَآيَةِ .

أَيَّتْهَا الْأَرْضُ ،
أَلَيْسَ هَذَا مَا تَرِيدِينَ ؟
غَيْرَ مَرْتِيَّةٍ فِينَا أَنْ تَنْهَضِي ؟
أَلَيْسَ حَلْمُكَ أَنْ تُصِيرِي مَرَّةً غَيْرَ مَرْتِيَّةٍ ؟
أَيَّتْهَا الْأَرْضُ ! غَيْرَ مَرْتِيَّةٍ !
مَا مَهْمَتُكَ الْمَلْحَةِ إِنْ لَمْ تَكُنِ التَّحَوُّلُ ؟
أَيَّتْهَا الْأَرْضُ ، أَنْتِ أَيَّتْهَا الْحَيِّبَةُ ، هَا أَنَا أُرِيدُ .
آه ، صَدَّقِينِي ، أَنْتِ لَمْ تَعُودِي فِي حَاجَةٍ إِلَى فَصُولِكِ
الرَّيْعِيَّةِ ،
لَتَأْخُذِينِي إِلَيْكَ ،
رَيْعٌ ، آه ، رَيْعٌ وَاحِدٌ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ الدَّمُ .
بَحْنِينَ لَا يُوَصِّفُ
وَمِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ
لَكَ صَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ .
دَائِمًا كُنْتُ عَلَى حَقٍّ ،
وَوَحْيُكَ الْقُلُوبُ هُوَ الْمَوْتُ الصَّدِيقُ .
تَطْلُعُ ، أَنَا أَحْيَا . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ؟

لا الطّفولةُ ولا الآتي يصيران أقلّ .
وجودٌ لا حدود له
يفيض في القلب .

المرثية العاشرة

يوماً ما ، عند الخروج من الرؤيا الحالكة ،
 أغني الملائكة المستجيبة بالمديح والتهليل ،
 آملاً ألا تتعثر مطارق القلب المضروبة بوضوح
 بسبب أوتار رخوة مُرتابة ، أو مقطوعة .
 آملاً أن يجعلني وجهي الفيّاض أكثر ألّقا ،
 وأن يُزهر البكاء الخفي .
 آه ، كم تصيرين ، عندئذٍ ، حبيبةً إليّ ،
 أيّتها الليلي القلقة .
 ليتني تقبّلتك بأكثر ركوعاً
 أيّتها الأخوات البلاء عزاء ،
 ليتني كنت أكثر استسلاماً لشعركنّ المرسل .
 نحن مبدّدو الأوجاع .
 كيف نحدّق عبرها في الأوقات الحزينة

محاولين أن نرى مُسبقاً نهايتها .
 غير أنها هي وَرَقْنَا الشَّتَائِي ، واخضرارنا الدائم الداكن ،
 إنها أحدُ فصولِ السَّنةِ الدَّاخليةِ -
 ليست فقط فصلاً واحداً -
 بل هي مكانٌ ، محلُّ إقامةٍ ، أساسٌ ، أرضٌ ومسكنٌ .

حقاً ، ولي ، كم هي غريبةٌ أزقةُ الألم ،
 حيث في الهدوء المزيف الصَّاعد من الضَّجيجِ العالي
 تتبجَّحُ الحياةُ الطَّالعةُ من الفراغِ بقوةٍ :
 الضَّجيجُ المذهَّبُ والنُّصبُ المنفَجِرُ .
 آه . كيف يدوس ملاكٌ بلا أثرٍ سوقَ عزائهم
 التي تحدِّها الكنيسةُ الجاهزةُ المشتراةُ :
 نظيفةٌ ومغلقةٌ وخائبةٌ كمركزٍ للبريد يوم الأحد ،
 بينما في الخارج تتماوج الأطراف بالكارنيفال .
 تارجُحُ الحرية ! غطَّاسو ومهرَّجو الحماسة !
 ومكانٌ لعبةُ الصَّيدِ للسَّعادةِ المُجمَّلةِ ،
 حيث الهدفُ يقفز ، وبصوتٍ معدنيٍّ يرتدُّ .

عندما يُصبيه واحدٌ ماهر .
من نجاحٍ إلى فشَلٍ يترنّح
بينما دكاكين الفضول تدعو ، تُطبل وتزرق .
أمّا للكبار ، فهناك شيء خاصّ للرؤية ،
كيف يتكاثر المال في طريقة عضويّة
لا للتسلية فقط :
أعضاء المال الجنسيّة ، كلّ شيء ، الكلّ ، الفعل –
هذا كلّهُ يُعلّم ويزيد الاخصاب .

آه ، لكن وراء كلّ هذا ،
وراء اللوحة الأخيرة التي عليها إعلان «اللا - موت» ،
إعلانُ هذه البيرة المُرة التي تبدو حلوةً للسّارين
ما داموا يجترّون معها أُمّياتٍ جديدة –
تماماً خلفَ اللوحة ،
وراء ظَهرِها تمكث الحقيقة .

الصُّغار يلعبون
والعشاقُ يُمسك واحدُهم بالآخر جانباً

وفي جدية على العشب النحيل ،
والكلابُ تفعل ما هو طبيعيّ ،
وأبعدُ من ذلك ، ينجذب الشاب ،
ربّما لأنّه يُحبُّ مرثيةً فتيةً .
وراءها يأتي إلى المروج . له تقول :
بعيداً ، نحن نسكن هناك
أين ؟ والفتى يتبعها .
سلوكها يؤثّر فيه :
الأكتاف ، العنق - ، ربّما تنحدر من أصلٍ عريق .
غير أنّه يتركها ، يعود ، ينظر إلى الخلف ، ويومئ . . .
ما الفائدة ؟ إنّها مرثية .

وخذهم الموتى الصغار في حالتهم الأولى
من راحتهم اللا - زمنية ، في حالة فطامهم ،
يتبعونها بشغف .
أمّا الصبايا فهي تنتظرهنّ ، وتصاحبهنّ ،
وفي رقّة تدلّهنّ على ما تليس :
لآلئ الألم وحُجب الصبر الرقيقة .

لكن مع الفتيان صامتة تسير .
وهناك ، حيث تسكن المراثيات في الوادي ،
تهتم إحدى المراثي الأكثر قِدماً
بالفتى عندما يسأل :
تقول له : مرة ، نحن المراثياتُ كنّا عائلةً كبيرة ،
في سلسلة الجبال الكبيرة هناك
حَفَرَ أبائنا المناجم ، عند البَشَر
تجد أحياناً شيئاً من الألم القديم المصقول ،
أو من بركانٍ قديم
رواسبَ غَضَبٍ حَجَرِيٍّ .
يلى ، هذا ينحدر من هناك ،
فقديماً كنّا أغنياء .

في رقّة تقوده في أرض المراثي الفسيحة ،
وتدلّه على أعمدة الهياكل ،
أو على أنقاض تلك الأبراج
التي منها قديماً حَكَمَ أمراء المراثي البلادَ بحكمة ،
وتدلّه على أشجار الدُمُوع العالية

وعلى حقولِ الكآبةِ المزهرة ،
 (الأحياء يظنونها جفنةً رقيقةً ، لا غير) ،
 تدلّه على حيواناتِ الحزن التي ترعى ،
 وأحياناً يخاف عصفورٌ
 فيطير قريباً من حقلِ رؤيتهما
 راسماً صورةَ صراخه المنعزل .
 ومساءً تقوده إلى قبورِ القدامى من عائلة المراثي ،
 إلى العرّافات والمنذرين .

وحين يقترب الليل يسيران في هدوء أكثر ،
 وفي سرعةٍ

ترتفع كالقمر شاهدةُ القبر الحارسةُ كلِّ شيء
 شبيهةً بذاك الذي على النيل ،
 بأبي الهول الشامخ - :

وجهِ الحجرِ الصّامته
 ويندهشان من الرأس المتوّج
 الذي أبداً وصامتاً
 يَضَعُ وجهَ البشريّ

على ميزان النجوم .

زائغاً من موته المبكر
لم يتمكن بصره من الاستيعاب .
غير أن نظراتها عبر طرف التاج
تخيف بومة
تلامس الخد في حركة بطيئة ، الخد الأنضج استدارة ،
وفي خفة ترسم في السمع الجديد للميت ،
كما لو على صفحة مفتوحة مزدوجة ،
خطوطاً لا توصف .

وإلى فوق ، النجوم ، نجوم جديدة ،
نجوم بلاد الحزن .
على مهلها تسميها المريثة :
هنا ، أنظر : الفارس ، الركن ،
وتلك النجوم الأكثر اكتمالاً
يسمونها إكليل الثمر .
ومن ثم في اتجاه القطب :

السَّريِر ، المَحَرّ ، الكتاب المحترق ، اللَّعبة ، النَّافذة ،
أَمّا في السَّماء الجنوبيّة ،
نَقِيّةٌ كدَاخِل يَدٍ مُبَارَكَة
تُضِيء «م» بوضوح
وتَعْنِي الأَمّهَات

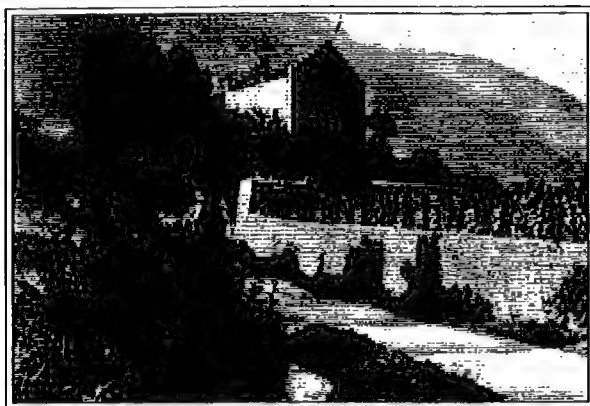
لكنْ على المِيتِ أَنْ يتابعَ المسير ،
وصامِتةٌ تقوده أَقْدُمُ المراثي
حتى الوادي العميق الضيّق
حيث يَلْمَع في ضوء القمر
ينبوعُ الفرح .
وفي وقارٍ تُسمِّيهِ ، تقول :
«هُوَ عِنْد البَشَرِ جَدولٌ جَارِفٌ» .
عِنْد أَسْفَلِ الجبلِ يقفان
وهنا تُعَانِقُهُ باكية .

وحيداً يصعدُ إلى هناك ،
إلى جبالِ الحزنِ الأوَّلِيّ ،

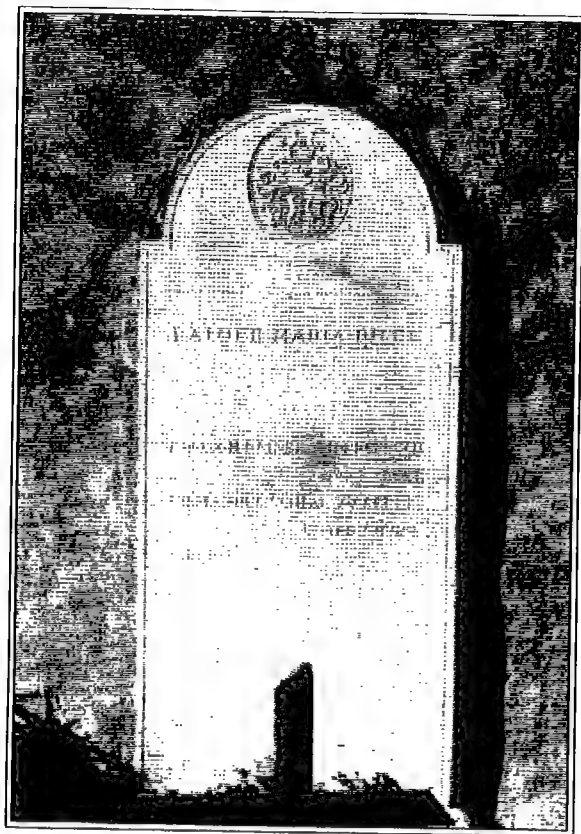
ولا مرةً واحدة
يأتي صدى خطوته من المصير الأخرس .

لكنّ ربّما يوقظ الموتى بلا نهاية فينا رمزاً ما ،
أنظر ، هم ربّما يدلّون إلى غبارٍ زهرٍ يتدلّى
من شجرٍ بندقيّ فارغ ،
أو إلى المطر الذي يسقط على التربة القاتمة
فصل الربيع .

ونحن الذين نفكرّ بسعادةٍ متصاعدة
نُحسّ بالشّعور الذي يكاد يجتاحنا
عندما شيء سعيد يسقط .



قصر مودو في سويسرا ، مسكن ريلكه من ١٩٢١-١٩٢٦ ،
حيث انتهت تجربة المراثي .



مقبره الأخير

تعريف

ولد الشاعر راينر ماريا ريلكه سنة ١٨٧٥ في مدينة براغ ، حيث تلقى دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم التحق بالمدرسة الحربية ، لكنه فشل فيها لتعارضها مع ميوله الأدبية ، فسافر في ١٨٩٦ إلى مدينة ميونخ للدراسة في جامعتها حيث تفرغ لقراءة مؤلفات الشاعر الدانمركي ينز ياكوبسن الذي طبع أثره العميق في نفسيته ، وهذا الأثر يظهر واضحاً في كتابه ، «مذكرات ماله لوريدس بريغه» ، (Aufzeichnungen von Malte Laurids Brigge) قضى ريلكه فصلين في جامعة ميونخ ، تعرّف خلالها على «لو أندرياس سالومه» ، وكانت سالومه التي ولدت سنة ١٨٦١ ابنة رجل روسي وامرأة ألمانية . لعبت هذه المرأة دوراً هاماً في حياته حتى أيامه الأخيرة . وهذا الدور لا يعود إلى شخصيتها وحدها ، بل إلى رحلتين قاما بهما معاً في ١٨٩٩ و ١٩٠٠ إلى روسيا حيث

تعرف ريلكه إلى تولستوي وإلى حياة الرهبنة في الأديرة ، ما ترك خطوطاً عميقة من الزهد والتصوّف في روحيته ، وهذا يبدو جلياً في «كتاب الساعات» و«كتاب الصّور» اللّذين اكتملا بين ١٨٩٩ و ١٩٠٥ .

في سنة ١٩٠٢ سافر ريلكه إلى باريس ، حيث تعرف إلى النحات رودان وعمل عنده حتى ١٩٠٦ ، ويُعتبر اتصاله برودان من أهمّ العوامل التي دمغت موقفه من عمليّة الابداع الشعريّ . تعلّم من رودان أن الابداع الفنّي عملٌ مستمرّ يقوم على الارادة ، وتالياً على خلق أشكالٍ فنيّة جديدة . ويبدو أثر هذا الموقف في «قصائد جديدة» و«قصائد جديدة : جزء آخر» اللّتين ظهرتتا في ١٩٠٨ .

في ١٩٠٩ تعرف الشّاعر إلى أميرة ثورن وتاكسس هو هنلوه ، وكانت دعتة سنة ١٩١٢ للإقامة في قصرها في دوينو ، إيطاليا ، حيث بدأ بكتابة مراثياته . في هذه المراثيات يتخطّى الشّاعر مرحلة رودان ، ويكتشف أن الخلق الفنّي يتمّ بقوة خفيّة تتخطّى الارادة ، بقوة تغرف الشّاعر وتقوده كما الأنسام للسّحب .

بعد صمّتٍ مرير دام سنوات ، تفجّرت المراثيات سنة

١٩٢٢ في قصر قديم في مودو ، سويسرا ، وانتهت في وقت قصير من العام المذكور مع «أغنيات إلى أورفيوس» ، بعد هذه العاصفة الشعرية كتب قصائد بالفرنسية تُعتبر من أكثر نتاجه غنائيةً وفرحاً .

في التاسع والعشرين من كانون الأول ، سنة ١٩٢٦ ، فارق ريلكه الحياة في مودو بعد مرضٍ قال تحت وطأته : « إني إنسان مُحطَّمٌ » وحين أدركته الوفاة لم يكن حوله سوى امرأة عجوز لا تبارح المكان .

من يزر قبره الآن يقرأ على حجارتِه بيتين من الشعر للشاعر نفسه :

أَيَّتْهَا الوردة ، أَيَّتْهَا التناقض النقيّ ، أَيَّتْهَا الرّغبة
ما من أحدٍ يرقد تحت أهداب كهذه كثيرة .

والآن كلمة حول عالمه الشعريّ .

للفلسفة الوجوديّة ينابيع فكرية وأدبية . من ينابيعها الأدبية بعض ما أنتجه الشاعر ريلكه . يؤكّد هذا القول كلمة وردت عن لسان ج . ف . أنجلوس في كتابه «راينر ماريا ريلكه» الذي صدر سنة ١٩٣٦ ، مؤدّاها أن هايدغر ذكر له

مرّة أنّه لم يضيف في فلسفته عمقاً جديداً إلى ما عبّر عنه ريلكه في صورة شعريّة .

غير أن ريلكه لم يغامر في الأراضي الوجودية منذ البداية ، فتجربته الشعريّة عبرت مرحلتين : مرحلة مبكّرة تشتمل على «كتاب الساعات» و«كتاب الصّور» و«قصائد جديدة» و«قصائد جديدة : جزء آخر» ومرحلة متأخرة ظهرت خلالها «مذكرات مالتة لوريدس بريغه» و«مرثيات دوينو» و«أغنيات إلى أورفيوس» .

تدور القصائد المبكّرة حول الله ، الله هو الحياة ، والحياة هنا تتعدّى الانسان إلى جميع الموجودات ، إنّها المحيط الذي منه تنبثق الكائنات ، محيط ينبض في هذه الكائنات ، محيط يحمل كل شيء كما تحمل البحار السفن . على هذا الأساس لا وجود حقيقي للموت ، الموت مظهر آخر للحياة ، إنّّه وجهها الخلفيّ ، كلاهما يتشابكان تشابك الخيوط بالخيوط والجدور بالجدور .

السؤال : أين الوجوديّة من هذه الرّؤية ؟

في ١٩٠٤ بدأ ريلكه بقراءة كيركغارد الذي يعتبره الفكر المعاصر أحد النابيع الوجوديّة الكبرى . وفي العام المذكور بدأ

الشاعر بكتابة «مذكرات مالتة لوريدس بريغه» ، هذه المذكرات التي ظهرت سنة ١٩١٠ ، في هذه «المذكرات» يتحوّل ريلكه إلى الانسان في وجوده على هذه الأرض ، إلى تجاربه الكيانية كالخوف والانشغال بالعالم اليومي ، كالوحدة والزمنية والموت ، أي إلى المواضيع التي تخصّ العالم الوجودي في صورة جذرية . في هذه «المذكرات» يرى ريلكه أن الموت أشبه بثمرة تنمو وتنضج داخل الانسان منذ البدء ، وليس حدثاً يصيب الانسان من الخارج ويُنتهي وجوده . وهذا يعني أن الشاعر بدأ بدخول العالم الوجودي في صورة واعية في «مذكراته» ، غير أنه لم يسبر أغوار هذا العالم وأبعاده إلا في «مرثيات دوينو» ، و«أغنيات إلى أورفيوس» .

في «المراثي» يستمرّ ريلكه في مناخ «المذكرات» ، لكن في صورة أنضج وأعمق . فهو ، كما هي حال «المذكرات» ، يُعبّر شعرياً عن عالم الخوف والقلق ، عن الانشغال بالأمر اليومية ونسيان الذات ، عن الحبّ والموت والزمنية . غير أن موقفه من الموت يتخذ اتجاهاً آخر في «الأغنيات» ، ذلك أن الموت لم يعد أشبه بالبذرة التي تنفتح وتنضج وتسقط كما لو كأنها كائن عضوي ، بل هو منذ البداية حقيقة أساسية مجبولة بوجود

البشريّ ، حقيقة جاهزة أبداً «للقوع» . في هذه الحالة ، على الانسان ألا يهرب من الموت ، ألا يخافه ، ألا يحاول نسيانه بانغماسه في الحياة العادية ، بل عليه أن يعيش معه ، أن يصاحبه ، أن يحتضنه وأن يُغنيّه .

تشير هذه المقدمة إلى علاقة ريلكه بالوجوديّة ، لهذا كان لا بدّ من إلقاء ضوء على الدروب التي سلكها ، ما جعلنا نفصل بين مرحلتين : مرحلة مبكّرة وثانية متأخّرة ، مع الاعتراف أنّ هذا الفصل غير صحيح تماماً ، ذلك لأن بعض الأوتار المبكّرة تستمرّ في نبضها حتى نهاية المطاف ، وأن التفسير الوجودي لهذا الشّاعر يهمل مواقف ميتافيزيقية من الصعب إخضاعها لحدود العالم الوجوديّ .

كلمات ايضاحية

١) الملاك : في المرثيتين ، الأولى والثانية ، وفي مرثيات أخرى تحتل كلمة «ملاك» مركزاً رئيسياً . و«الملاك» هنا لا يحمل مضموناً مسيحياً بل هو أقرب من حيث الجوهر إلى الدور الذي يلعبه زرادشت في فلسفة نيتشه : إنه الكائن الذي يحول باستمرار المرئي إلى اللامرئي ، الفضاء الخارجي إلى الفضاء الداخلي ؛ انه الكائن الذي فيه تتحد المتناقضات التي تمزق حياة الانسان . من هنا كانت قوته ، ومن هنا كان الرعب الذي يبعثه في الانسان .

غير أن التفسير الوجودي يرى أن «الملاك» هنا لا يعبر عن أي موقف غيبي بل هو تجسيد لصرخة الانسان الذي يبحث عن متقذ .

٢) كاسبارا ستامبا : امرأة ايطالية ، ولدت سنة ١٥٢٣ ، على جانب كبير من الثقافة ، أحبت الشاب كولالتينو الذي

راح إلى فرنسا ليحارب إلى جانب هنري الثاني ، وهذا
بعد سنوات قليلة من الحب المتبادل بينهما . وحين عاد
إلى بلاده كان تحول عن حبه لها ، ونتيجة لهذا التحول
راحت تبحث عن النسيان في العشق أنا وفي الدين أحياناً
إلى أن توفيت سنة ١٥٥٤ .

(٣) سانتا ماريا فورموزا : كنيسة في البندقية .

(٤) لينوس : إله يوناني قديم ، اغنيته مرثية للصيف الراحل ،
ويقال إن من فقد إحساسه خوفاً ورعباً لوفاته كان يعود
للحياة كلما غنى أورفيوس .

أيام طوبيا : طوبيت ، رجل يهودي نفي إلى نينوى ،
وقبل هذا النفي كان ترك أموالاً لا بأس بها مع رجل في
مدينا . وحين أحس بالموت أرسل ابنه طوبياس
لتحصيلها ، وعندما راح طوبياس يفتش عن دليل له
التقى بالملاك روفائيل الذي قاده إلى المكان .

(٥) المراثية الخامسة تدور حول لوحة للفنان بيكاسو
عنوانها : Les Saltimbanques إنها أكثر المراثي تعقيداً .

الفهرس

٧	المرثية الأولى
١٥	المرثية الثانية
٢١	المرثية الثالثة
٢٧	المرثية الرابعة
٣٥	المرثية الخامسة
٤٣	المرثية السادسة
٤٧	المرثية السابعة
٥٥	المرثية الثامنة
٦١	المرثية التاسعة
٦٩	المرثية العاشرة
٨٣	تعريف
٨٩	كلمات إيضاحية

للمؤلف

- مرساة على الخليج (شعر) دار مجلة الشعر ١٩٦١
حنين العتة (شعر) المكتبة العصرية ١٩٦٥
راينر ماريا ريلكه (مختارات من شعره إلى العربية) دار النهار ١٩٦٩
العشب الذي يموت (شعر) دار النهار ١٩٧٠
الشعر والموت (مقالات فلسفية) دار النهار ١٩٧٣
هلدرلن (مختارات من شعره إلى العربية) الدار الأهلية ١٩٧٣
علامات الرمز الأخير (شعر) دار النهار ١٩٧٥
أنهار بريّة (شعر) دار النهار ١٩٨٢
شعر أميركي معاصر (مختارات إلى العربية) الجامعة الأميركية ١٩٨٥
غيورغ تراكل (مختارات من شعره إلى العربية) المطبعة البولسيّة ١٩٨٧
يوميات حظّاب (شعر) دار صادر ١٩٨٨
سلّة الشيخ درويش (شعر) دار صادر ١٩٩٠
نوفاليس (مختارات) دار صادر ١٩٩٢
قصائد هندي أحمر (شعر) دار صادر ١٩٩٣
أولي كومندا سانتغيرات (مختارات من شعرها في الألمانية والعربية) دار صادر ١٩٩٤

**Die Herausgabe dieses Werkes wurde aus
Mitteln von INTER NATIONES, Bonn
gefördert**

Die Übertragung dieser Elegien ins
Arabishe hat im "europäischen
Übersetzer-Kollegium", Straelen,
angefangen, aber in der Villa Waldberta,
Feldafing, wurde sie zu Ende gelbracht.

Rainer Maria Rilke

Duineser Elegien

Übertragen von
Fuad Rifka

DAR SADER
Beirut 1997



ريلكه زمن المراثي

حقاً ، غريبٌ "ألا نسكن الأرضَ بعدُ ،
ألا نُمارسَ عاداتِ الكادِ تعلّمنّاها ،
ألا نُعطي الورودَ وأشياءَ أخرى واعدةً
معنى مستقبلٍ بشري ،

والأ نَظِلَّ ، كما كنّا ، في يَدَينِ خائفتين بلا نهاية ،
وأن نرمي بأسمائنا جانباً كلعبةٍ مُحطّمة .

غريبٌ "ألا نستمرّ برغائبنا .

غريبٌ أن نرى العلائقَ كلّها

في الفضاء محلولةً تتبعثر